قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552

المقابر الخاصة والروضات الملكية في حواضر بلاد المغرب الإسلامي من القرن الأول إلى نهاية القرن العاشر هجريين/السابع السادس عشر ميلاديين

Private Cemeteries and Kindergartens in the Cities of the Islamic Maghreb from the first Century to the end of the tenth century AH (between the seventh to the sixteenth century AD)

د.محمد عياش *
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم العلوم الإنسانية بجامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف - الجزائر

معلومات المقال
تاريخ المقال:
الإرسال: 2019/03/27
المراجعة: 2019/09/26
القبول: 2019/10/09

الكلمات المفتاحية:
المقابر الخاصة،
الروضات الملكية،
الدفن،
قبور السلاطين،
الأضرحة.

ملخص

إن عملية الدفن عملية ضرورية بعد الممات من خلال مشروعيتها، رغم أن هناك التباين واختلاف في طرق الدفن وأشكاله وأنواع المقابر ناتج عن المؤثرات الثقافية والفكرية والعقائدية والاجتماعية للأفراد، لذلك تناولت في هذا المقال البحث عن تنظيم المقابر وأسمائها وتوزيعها في حواضر مدن المغرب الإسلامي مركزا على المقابر الخاصة والروضات الملكية، وهذا طيلة الفترة الوسيطة بداية ببلاد المغرب الأدنى القيروان وتونس مرورا ببجاية وتلمسان في المغرب الأوسط ثم مراكش وفاس وشالة في بلاد المغرب الأدنى كنماذج لهذه الدراسة، بالاعتماد على المصادر التاريخية والجغرافية والأثرية والرحلات والزيارة الميدانية، كما تمدنا الدراسة بأهم الخصائص والمميزات العامة للمقابر الخاصة في هذه الفترة.

Key words:
Private tombs,
Royal kindergartens,
Burials,
Tombs of sultans,
Shrines.

Abstract

The process of burial is necessary after death through its legitimacy, although there is a variation in the burial methods, forms and types of graves resulting from cultural, intellectual, ideological and social influences of individuals, so in this article dealt with the search for the organization of graves and their names and distribution in the cities of the cities of the Islamic Maghreb, focusing on graves This study was conducted throughout the medieval period, first in the Maghreb, Kairouan and Tunisia, through Béjaa and Tlemcen in the Middle Maghreb, then Marrakech, Fass and Chellah in the Maghreb as models for this study, drawing on historical, geographical and Rich, field trips and visit, also provides us with the most important characteristics of the study and general features of the graves in this special period.

* Corresponding author at: Hassiba benouali University of Chlef. ALGERIA
Email : m.ayache@univ-chlef.dz

المقدمة

إن مسألة بناء المقابر وتنظيمها لم يظهر فجأة مع الإسلام بل عرف ذلك عبر التاريخ، حيث تعود جذورها الأولى إلى عصور ما قبل التاريخ(العصر الحجري الحديث)، حيث أن مسألة الدفن الشخص المتوفي في ذلك الوقت مازال يمثل حدثا استثنائيا نتيجة للأشياء التي عثر عليها في المقابر وطريقة بناء المقبرة وكيفية تزين جسد المتوفي ووضعية الجثة في القبر[1] رغم شح المعلومات التي تعود إلى هذه الفترة، وتطورت عمليات الدفن في الحضارات القديمة خصوصا عند الملوك، وخير دليلي على ذلك أهرام مصر ومدافن الحثيين والآراميين والانباط والرومانيين لا تزال حتى اليوم ماثلة أمامنا، وما تزال الحفريات العلمية تكشف لنا بين آونة وأخرى عن قبور ومدافن قديمة كنت مجهولة لدينا، كما عرفت بلاد المغرب القديم هي أيضا العمائر الجنائزية التي استعملها ملوك بلاد المغرب أثناء فترة حكمهم وأخص بالذكر الفترة الموريتانية النوميدية، فنجد مجموعة من المدافن التي أمكن تقسيمها إلى الأضرحة بازنيية مثل ضريح مدغاسن[2] والضريح الملكي الموريطاني[3] وأضرحة برجية مثل ضريح دقة[4]، وضريح بني رنان أو الملك سيفاكس[5]، وضريح الخروب ويعرف بضريح ملك ماسينيسا بالجزائر [6].

إن ظاهرة بناء المقابر في الحضارة العربية الإسلامية كانت من بين المسائل الدينية التي فصل فيها مبكرا للتمييز بين فضاء الأموات وفضاء الأحياء، وحماية للساكنة حددت عملية الدفن في أماكن بعيدة عن العمران في الخلاء منذ صدر الإسلام، حيث اختار الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم موضعا في شرقي المدينة المنورة، وكان مغطى بالأعشاب والصخور والنبات البري يسمى الغرقد[7] فأمر بتسويته وتمهيده، وأنشأ فيه مدفنا للمسلمين سمي ببقيع الغرقد[8]، وكان البقيع قريبا من المسجد النبوي وبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما كانت مقابر للأنصار والمهاجرين في محلات سكناهم في المدينة المنورة فكانت مقبرة بني خطمة قرب بئر غرس، ومقبرة بني سلمة وهي عند خطط بني حرام، ومقابر بني سالم وبني بيّاضة، ومقبرة قباء[9]، كما أن هناك مقبرة شهداء أحد، حيث أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يدفن شهداء معركة أحد في الموضع الذي استشهدوا فيه بعد أن رأى بعض المسلمين ينقلون قتلاهم إلى مقابر المدينة، وبخاصة إلى المقبرة البقيع ومقبرة بني سلمة[10]، ومن هذه النازلة نستشف الهدي النبوي في التعامل مع القبور والمقابر باعتبارها تكتسي بعدا رمزيا خاصا، بعد انتشار الإسلام في أرجاء العالم ظهرت مدنا نشأت بسبب مدفن أو قبر أو ضريح، فكثيرا ما نشأت المدن نتيجة حدث أو تخليد ذكرى ، كضريح الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – في النجف- الذي كان السبب الأعظم في نشأة مدينة نجف، كما تعتبر قبة قبر الإمام علي هي أول قبة من نوعها في بلاد الإسلام مادام لا يوجد لدينا نص يدل على ما هو أقدم منها، ووضعت بعد فترة من الزمن على باقي قبور الأئمة من أهل البيت النبوي، ثم شاع استعمالها في أنحاء البلاد الإسلامية وتردد ذكرها كثيرا في كتب الطبقات والتراجم باسم التربة، وقد عقد المقريزي في خططه بحثا خاصا بترب مصر، كما فعل مثل ذلك النعيمي والعلموي، والبقاعي في ترب دمشق، ومحمد بن طولون في ترب صالحية بدمشق[11]، أو كقبر الإمام الحسن السبط في كربلاء، تلك المدينة التي لم تستحق الذكر في التاريخ قبل وجود القبر إلا نادرا جدا[12].

أما في المغرب الإسلامي فكثيرة هي المزارات والمقابر التي كان لها دور حاسم في تأسيس المدن والقرى وتأثيث المجال وتنظيم الأحياء والأرباض فمثلا بالجزائر ضريح سيدي عقبة ببسكرة، والواضح أن مقابر العامة كانت توجد خارج النسيج الحضري، حيث تتفق الدراسات التي تناولت الموضوع على تأكيد هذه الظاهرة في المدن المشرقية ، حيث تستقر خارج الأسوار وعند الأبواب الرئيسية للمدن، وقد تكون قد انحدرت من عادة رومانية قديمة[13]، كما كانت أيضا غير مسيّجة بسور وتقع بجوار الطرق المؤدية إلى الأبواب الرئيسة لسور المدينة[14]، إلا أن المصادر التاريخية والأثرية تخبرنا عن وجود أماكن للمدافن داخل المدينة وهي أيضا ظاهرة قديمة أيضا فأول الأمثلة تجلت في دفن الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر بدار عائشة، وهناك أمثلة كثيرة تبين أن المقابر الصغيرة، أقيمت بجوار المساجد الجامعة[15]، ومن جهة أخرى شهد القرن (5هـ/ 11م) ظاهرة الدفن في الأماكن المقدسة بالنسبة لعامة الناس[16]. وسؤال الذي يطرح نفسه هل أصبح بذلك تقليد تسير تنظيم به عبر كل المدن الإسلامية والمغاربية؟ وماهي أهم انواع المقابر التي عرفتها المدن المغاربية وكيف تم تنظيمها وتسميتها ؟

ويمكن تقسيم المقابر في حواضر المدن المغاربية إلى نوعان مقابر العامة أو المقابر الكبيرة أو المقابر المكشوفة والنوع الثاني المقابر الخاصة أو القباب وكانت تنسب إلى أصحابها سواء من الأسرات الحاكمة أو العائلات الثرية أو الشهيرة أو من الأفراد ذوي المكانة مثل الشرفاء وفي هذه الدراسة نركز على المقابر الخاصة، ويشمل هذا النوع من المدافن الدور والمساجد والأربطة ثم المقابر الأميرية أو الروضات الملكية، فسنعمل على إبراز أهم خصوصياتها.[17]

أولا: الدفن في المنازل

يشكّل الدفن في الدور عادة قديمة في منطقة بلاد المغرب، وتعود أقدم الحالات التي صادفناها تخص دفن علي بن زياد[18] بداره قرب ساحة القصبة حاليا بمدينة تونس، وذلك سنة (183هـ/ 799م)، إقتداءا بالرسول وأبا بكر وعمر دفنوا بدار عائشة، أما في قرطبة[19] سنة (293 أو 294هـ/ 906م) وبأرشقول شمال المغرب (296هـ/ 908م)[20]، ومنذ ذلك الحين تكاثرت الحالات وتكرّرت حتى ما بعد العصر الوسيط، وأمدتنا المصادر بمعلومات عن هذا النوع من أماكن الدفن في مدينة تونس حتى بداية القرن (5هـ/ 11م)، حيث دفن محرز ابن خلف[21]

بداره داخل باب السويقة وذلك سنة (413هـ/ 1022م) ولقد دفن حذو الولي ابنه محمد وابنته، كما دفن أيضا العديد من أحفاد سيدي محرز بالقرب منه، وامدتنا المصادر بأسماء بعض هؤلاء[22] الذين دفنوا في تربة جدهم وتواصل دفنهم بالزاوية إلى القرن الماضي وبداية القرن الحالي.

وبالمغرب الأقصى كان بعض الناس يوصون بدفنهم في منازلهم، فأبو الوليد سعد السعود (ت.588هـ/ 1192م) يطلب دفنه بجوار داره في برجلانة من قرى لبلة. وأمر محمد بن أحمد بن عيسى اللخمي (ت.654هـ/ 1256م) بدفنه بدار كان يلتقي فيها بأصدقائه العلماء للدراسة والمناظرة في مراكش[23].

انتشرت ظاهرة الدفن في المنازل في أهم مدن المغرب والأندلس (قرطبة- إشبيلية-غرناطة- لبلة- فاس- مراكش- تلمسان- تونس)، بقوة إبتداءا من القرن الخامس هجري الحادي الموافق العاشر ميلادي خاصة للعلماء والأعيان، وستتحول بعض هذه المنازل إلى مدافن لأصحاب الميت كما حصل لمنزل محمد بن أحمد بن عيسى اللخمي في مراكش، أو مزارات يقصدها الناس للتبرك كما كان دار ابن أبي غالب بفاس.

وتدخل في حكم الدور الجنان والبساتين والضيعات، فبعض الناس يختارون الدفن في هذا النوع من الممتلكات مثل حماد بن شقران بن حماد (ت.354هـ/ 964م) الذي دفن بضيعته باستجة من إقليم طليطلة[24]ومحمد بن علي بن الحسن، ابن حسون (ت.614هـ/ 1217م) المدفون في "جنانه بمالقة"[25] ومحمد بن محمد بن أحمد المقري من تلمسان والذي "دفن بها في البستان الملاصق لقبلي داره".[26]

ثانيا: الدفن في المساجد والأربطة

شهد القرن (5هـ/11م)، انطلاقة ظاهرة الدفن في الأماكن المقدسة (المساجد والأربطة)، حيث أخذت التربة أو القباب ترتدي ثوبا علميا وتنطبع بطابع ثقافي فكان يضاف إلى التربة مدرسة علم أو مكتبة مطالعة أو مكتب لتعليم الأيتام والأطفال أو مسجد للصلاة يكون فيه درس علم أو قراءة قرآن، ففي سنة(459هـ/ 1066م) بنى الملك محمد بن منصور الخوارزمي قبة، على قبر الامام ابي حنيفة وإلى جانبها مدرسة كبيرة للحنفية، ولما تم بناؤها دعا إليها الفقهاء والعلماء والأعيان، ومنذ هذا الوقت اخذت المعاهد العلمية تسند إلى جانب قبور العظماء[27].

أما في بلاد المغرب تعود جذورها إلى العهد الإدريسي[28]،وارتبط هذا التحول بتزايد إحساس الشفاعة والوساطة في المجتمع، حيث رغب في المساجد لبركتها، فمثلا دفن أبو القاسم ابن الإفليلي (441هـ / 1050م) ومحمد بن سعيد بن أبي زعبل في صحن مسجد خرب عند باب عامر بوصية منهما[29] وكثرت الوصايا التي تنص على الدفن في المساجد والربط، ومن الذين تركوا وصايا من هذا الصنف نذكر أحمد بن عبد الله بن أحمد التميمي (467هـ/ 1074م) الذي أوصى بدفنه بمسجد غزلان السيدة داخل قرطبة وأبو زكرياء يحي بن موسى الرجراجي (6هـ/ 12م) الذي طالب بدفنه برباط شاكر خارج مراكش[30]وعبد المنعم بن مروان بن عبد الملك بن سمحون(524هـ/1130م) الذي أمر بدفنه في رابطة عمراش خارج المرية[31] وإبراهيم بن عيسى بن أبي داود (650ه/1252م) الذي أوصى بدفنه بإبروجن مدفن الصالحين بتلمسان[32].

وفي نفس الوقت استقطبت الرابطات والزوايا بعض الموتى بفضل دورها الجهادي وقداسة أرضها، وكانت رابطة عمراش بالمرية إحدى الأماكن المقدسة التي بحث أهل البر في الأندلس عن الدفن فيها[33] وعرفت مدينة تلمسان أمثلة كثيرة من هذا النوع نذكر منها منطقة العباد بتلمسان أين هو مدفون فيها ضريح سيدي بومدين[34]توفي سنة(594هـ/ 1197م) وهو النواه الأولى لكل التجمعات السكنية (المدرسة والقصر والجامع، دار السلطان)، ويعد هذا الضريح من أقدم المعالم بعد الجامع الكبير، وذو أهمية كبيرة في تاريخ المغرب الأوسط

فخضع الضريح إلى نفس المخطط المتبع في بناء الأضرحة سواء في المشرق والمغرب من قاعدة مربعة تعلوها قبة في الفترة الموحدية (المخطط :01/أ)[35]، وكذلك مدفن الحفيد ابن مرزوق(المخطط: 01/د)[36]الذي يوجد في الزاوية الغربية للمسجد الأعظم بتلمسان وقد أنشأ يغمراسن بن زيان الضريح الذي دفن فيه محمد ابن مرزوق عندما كان يوسع المسجد وأنشأ المنارة، ويوجد بالمتحف البلدي لتلمسان شاهد قبر لابن مرزوق الحفيد من الحجر الرملي متكون من سبعة أسطر بالخط النسخي المغربي، وفي شوكتي الشاهد زخرفة نباتية عبارة عن مراوح نخلية، وجاء نصه كالتالي: " الحمد لله هذا قبر الشاب الأسعد أحمد بن الفقيه العالم الشيخ محمد بن مرزوق توفي رحمه الله أول محرم سنة ألف ماية وخمسة".

كما عرفت أيضا الدفن في رابطة الصيد بسبتة[37] ورباط شاكر خارج مراكش[38]، ورباط المنستير بتونس، ونستنتج أن ظاهرة الدفن في المساجد والربط كان منتشرا انطلاقا من القرن (5هـ/11م)، وبحث الراغبون فيه عن البركة والتميز وإظهار مكانتهم الاجتماعية والبقاء قرب الأحياء.

ثالثا: المدافن والروضات الملكية

تمثل قبور الحكام من سلاطين وقبور الخواص من جهة أخرى، ونتج هذا التصنيف عن الفارق الموجود في نوعية المقابر، فالحكام عادة قبورهم أهم بكثير من قبور الخواص، وتتمثل هذه الأهمية في المساحة التي تغطيها هذه المقابر وفي ثرائها المعماري والفني الذي تمتاز به عن غيرها.

أثبتت البحوث الأثرية التي أنجزها مصطفى زبيس[39]، وبعض أعمال محمد الباجي بن مامي[40]، أن أقدم المدافن الخاصة في مدينة تونس وفي البلاد التونسية عموما تعود إلى بدايات القرن الثاني عشر ميلادي، وأول مثال لهذا النوع من المدافن –

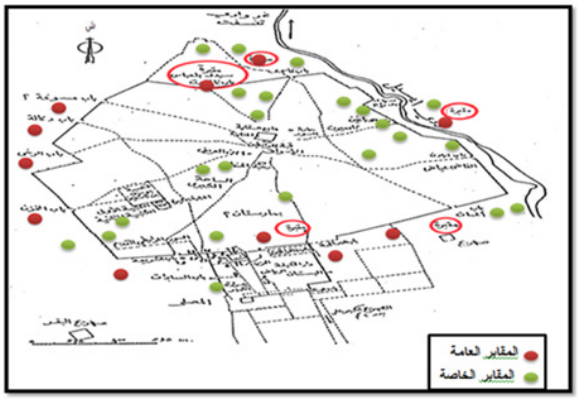
94

التربة-[41] يصلنا صداها فهي: مقبرة بني خراسان[42] ونعلم أن أول من استقل بمدينة تونس عائلة بني خراسان، فبعد الزحفة الهلالية دخلت مدينة تونس في طاعة الناصر بن علناس الحمادي صاحب القلعة الذي ولى عليها من قبله عبد الحق بن عبد العزيز ابن خراسان وذلك سنة (451هـ/ 1059م)، ولم يلبث هذا أن استقل بها، وأسس بها دويلة دامت حتى دخول الموحدين سنة (555هـ/ 1160م) وقد شيّد مقبرة هذه العائلة عبد العزيز وإسماعيل ابنا عبد الحق وكان ذلك سنة (486هـ/ 1093م)[43] وتؤكد ذلك كتابة شاهدية مثبتة في إفريز يحيط بالقاعدة المربعة للقبة[44].وتحتضن هذه المقبرة قبورا أخرى ترجع إلى بداية القرن (6هـ/ 12م)[45]، ولكن وجود هذا النوع من المقابر يدفعنا للتساؤل عن كيفية دخولها إلى مدينة تونس وما مدى التأثيرات التي عرفتها العائلة الخراسانية حتى تدخل هذا النوع من المنشآت إلى المدينة؟

في الحقيقة ليس لدينا جواب مقنع وليست لدينا معطيات يمكن أن توضح ما غمض عن كيفية قدوم منشآت من نوع التربة إلى إفريقية، فرغم أن التأثيرات المشرقية كانت هامة بإفريقية حتى القرن (5هـ/ 11م)[46] فإنه لا يمكن تفسير هذا التأثير، إذ لم تكن التربة سوى حالة منفردة ولم تتأثر عائلات أخرى بهذا النوع من المنشآت[47].وربما يرى البعض في اسم العائلة المؤسسة لهذه التربة جوابا على هذه التساؤلات إذ أن الاسم ألا هو آل خراسان يدل على أن العائلة من أصل مشرقي لكن بالطبع لا يعدو أن يكون هذا افتراضا لا غير.لكن رغم أن هذه هي أقدم تربة انطلاقا من العهود الإسلامية في مدينة تونس فإنها لا تعدو- كما حصلت الإشارة إليه- أن تكون مثالا منفردا طيلة عدة قرون، إذ لن نعثر على مثال آخر لتربة خاصة قبل أواسط القرن (7هـ/ 13م) [48]، وانطلاقا من هذه الفترة تعددت الأمثلة للترب، ولدفن أفراد نفس العائلة بأماكن خاصة بهم.

انتشرت ظاهرة إنشاء المقابر والمدافن الخاصة بالأمراء والملوك في عهد المرابطين منها: مقبرة في قصر الحجر بمراكش وبها دفن يوسف بن تاشفين (500هـ/ 1106م)[49]، أما علي بن يوسف فأوصى أن يدفن في مقبرة عامة وحتى بدون شاهدة قبر ولذلك عجز الموحدون عن اكتشاف قبره عند دخولهم مراكش[50]. والموحدين اتخذوا مسجد تنمل مدفنا لهم، وخلف لنا الإدريسي وصفا لقبر المهدي جاء فيه:" وقبره في هذا الوقت بيت جعله المصامدة حجا يقصدون إليه من جميع بلادهم، وعليه بناء متقن كالقبة العليا، لكنها غير مزخرفة ولا مزينة كل ذلك على طريق الناموس[51].وقد دفن بهذه القبة ابن تومرت[52] وبعده عبد المؤمن بن علي[53](558هـ/1162م)، ويوسف بن عبد المومن(580هـ/1184م)[54] ثم يعقوب المنصور (595هـ/1199م) [55].واستحدث الموحدون مقبرتين بمراكش هما: روضة تمراكشت التي يرجع أنها موجودة في القصبة الموحدية أو بجوارها، ثم روضة الأمراء جنوب المدينة عند باب الشريعة ووصفها العمري كما يلي: "هنالك مقابر أكابرهم وجنائز الأعيان في نهاية حسن المباني والأغراس".[56]عرفت المقابر معهم تحولا كبيرا، إذ صارت تحظى بعناية كبيرة في اختيار كوقعها وتعميرها وعمارتها وزخرفتها، وعرفت تعددا كبيرا أهمها مقبرة تافرطاست(الخريطة:02).

الخريطة(02): توزيع المقابر بمدينة مراكش



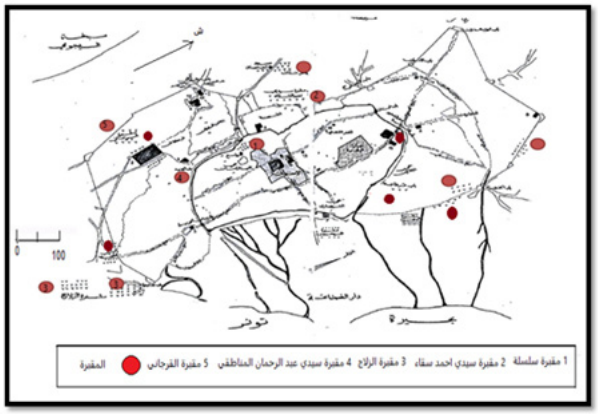
المصدر: (بتصرف عن مليكة الوالي علمي)

1. مقابر سلاطين الحفصيين

ولقد سبق لنا الكلام عن المقابر الأولى بتونس ألا وهي مقبرة بني خراسان، أما العائلة الثانية التي حكمت تونس وهي الحفصية فقد كانت لأفرادها في القرنين الأولين من حكمها (7هـ/13م-8هـ/14م) عدّة أماكن دفنوا بها، من ذلك مثلا مقابر الزلاج والقرجاني والسقا، بينما دفن عدد آخر منهم بالقصبة[57]، فدفن بها أبو محمد عبد الواحد جد الحفصيين (618هـ/1221م)، كما دفن "السلطان أبو يحي أبو بكر في روضة جده"[58]وذلك سنة (747هـ/1346م)، وتواصل دفن أفراد العائلة الحفصية بالقصبة إلى أواخر القرن (8هـ/14م). ويبدو أن آخر سلطان حفصي دفن بهذه الروضة هو أبو العباس أحمد المتوفى سنة (796هـ/1393م)[59] فنلاحظ أنه انطلاقا من أبي فارس عبد العزيز (837هـ/1434م) أصبحت توجد تربة الحفصيين حذاء زاوية سيدي محرز[60]، فقد كان سلاطين هذه العائلة يعتقدون اعتقادا شديدا في هذا الولي، وربما كان ذلك منهم تزلفا لعامة الرعايا وتقربا لهم نتيجة لتعلق هؤلاء بالولي[61].وهكذا دفن كل سلاطين القرن (9هـ/15م) وبعض أمراء وأميرات بني حفص ورجالاتهم المقربين منهم بالتربة الموجودة بسقيفة مقام محرز بن خلف[62]، ويفيدنا الوزير السراج أن هذه التربة كانت توجد على يمين الداخل إلى الزاوية.[63]

ثم تحولت تربة هذه العائلة مرة أخرى إلى مكان آخر وذلك بزاوية قاسم الزليجي[64] فنجد قبورا لبعض من هؤلاء السلاطين الذين ماتوا خلال القرن (10هـ/16م)[65] بمحاذاة قبر الولي، كما نجد قبور بعض الأمراء في أماكن أخرى من الزاوية(الخريطة: 01).

الخريطة(01): مدينة تونس تموقع مقابرها



المصدر: (بتصرف عن عبد العزيز الدولاتي بتصرف)

2.مقابر سلاطين بني مرين

تعتبر مقبرة شالة خاصة والرباط عامة لدفن ملوك بني مرين لأنها أرض الجهاد كما يؤكد اسمها، ولأنها كانت دائما منطلقا للجهاد في الأندلس، حيث بدأ يعقوب المنصور ببناء مسجد منعزل على شكل رباط بدئ بالدفن فيه[66]، ثم بنيت شالة على هيئتها الحالية على يد أبي الحسن المريني عام (739هـ/1339م)، حيث ترك مجالا واسعاً حول المسجد، وأقام حوله سورا فتح فيه ثلاثة أبواب أشهرها الباب الجنوبي-الغربي، وبنى صومعة للمسجد وفتح له باباً آخر، ثم بنى مسجدا آخر وقاعة دفن بين المسجدين ثم ضريحاً فخماً له[67]. ووصفها ابن الخطيب قائلا: " ومقبرتها المنضدة عجيبة في الانتظام، معدومة في المدافن العظام، وتتأتى بها- للعبادة- الخلوة، وتوجد عنها للهموم السلوة"[68]. وأضاف ابن علي الدكالي: " بنيت على الملوك الذين دفنوا بها قبب صاعدات في الجو مزخرفة بأنواع النقش والأصبغة والأمهاء بالذهب، ورسمت على الجدران كتابات اشتملت على آيات قرآنية وأمداح ومراثي لمن دفن بتلك الأضرحة، ونصبت على كل قبر رخامة بيضاء على قدر طول القبر (مقابرية)،(الصورة:01)وجاء نص الكتابة الشاهدية كالتالي:" الحمد لله وحده هذا قبر مولاي أبي الفـــ (ضل أخ مولانا) أبي العباس بن مولانا أبي سالم ابن مولا/ نا أبي الحسن ابن موالينا الخـــ/(ـلفاء الراشد) ين رحمـ(ـــة الله عليهـ)ـــم أجمعين

توفي رحمه الله في يوم الخميس/ السابع شوال عام تسعة/ وستين وسبعمائة ودفن بالبقعة/ (المقدسة والحرم المـــ)كرم في الموفى لعشرين من جماد الأول عام تسعة وسبعين وسبعمائة[69].

الصورة(01): شاهد قبر أبو الفضل محمد المؤرخ سنة 776هـ/1374م حالة



المصدر: من تصوير الباحث

وقد نقش عليها ذكر اسم صاحب القبر وتاريخ وفاته"[70]، وكان للمقبرة خزانة عملية وكتب وتحف وأواني مذهبة للتجميل والإيقاد والأكسية الحريرية المذهبة لتغطية القبور ثم قيم يشرف على ذلك،[71]

ووقف أبو الحسن عليها أوقافا زاد منها أبو عنان عام (757هـ/1357م) بعد دفن أخته بها، وخصصت لقراءة القرآن طلبة العلم وإطعام الزائرين والمقيمين، وبنى مدرسة بها.[72]

ودفنت فيها أم العز بنت محمد بن حازم زوجة يعقوب المنصور المريني عام (683هـ/1284م)، وهي أول نزلائها[73] وبعدها دفن يعقوب المنصور (685هـ/1286م)[74] وأبو يوسف (706هـ/1307م)[75] وعثر على شاهد قبره على رخامة تحمل نقوش رومانية في ظهرها، (الصورة: 02).

الصورة (02): شاهد قبر أبي يوسف بن عبد الحق (706هـ/1306م)



المصدر: متحف البارد بالرباط

أبو ثابت عامر بن عبد الله (708هـ/1308م)[76] وأبو سعيد عثمان (731هـ/1331م)، وأم أبي الحسن المريني (736هـ/1336م)[77]وأبو الحسن المريني (752هـ/1352م)[78] وزوجه شمس الضحى أم أبي عنان (750هـ/1350م) وأبو مالك بن أبي الحسن (740هـ/1340م)[79]وأخت أبي عنان (757هـ/1357م)[80] وكان هذا آخر دفن للمرينيين بها.

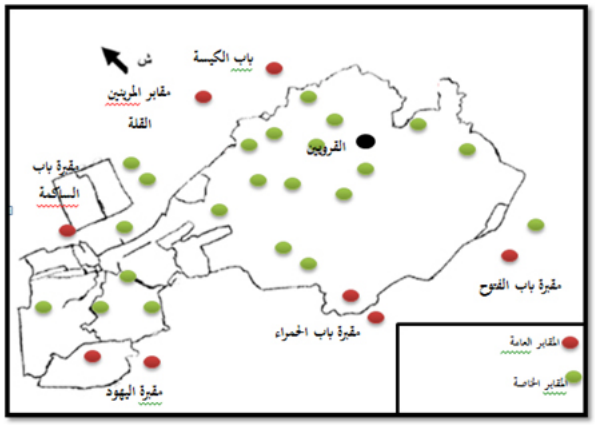
أ- مقبرة القلة

تسمى بمقبرة المرينين تقع فوق تل مرتفع خارج باب الجيسة شمال مدينة فاس، وكان موقعها موضع دفن سابق وقصبة موحدية سابقة، وربما اكتفى المرينيون بترميمها وإدخال بعض التعديلات عليها فقط، ومن هنا تأتيها قيمتها الروحية والمعنوية[81]، ووصفها الوزان كما يلي:" وهي في غاية الزينة شواهدها من مرمر مزخرفة بنقوش ومنمق بألوان زاهية، حتى إن هذه المقابر لتملأ نفوس المتأملين فيها بالإعجاب"[82]، وأهم من دفنوا بها السلطان أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن (762هـ/1362م)[83]وأبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي الحسن (776هـ/1376م)[84] والمستنصر عبد العزيز بن أحمد

96

بن إبراهيم (799هـ/1398م)[85]وأبو محمد عبد الحق آخر المرينيين (869/1465م)[86] والأميرة أمينة بنت أحمد بن أبي سالم[87]صارت القلة مقبرة الرسمية للمرينيين(الخريطة:03).

الخريطة (03): توزيع المقابر بمدينة فاس



المصدر: عن الباحث

1. مقابر بني عبد الوادي بتلمسان

كل ما نعرفه هو أن قبورهم موزعة بين دار الراحة في الجامع الأعظم داخل تلمسان وتربة القصر. ودار الراحة بالجامع الأعظم مكان اتخذه آل زيان داخل الجامع للدفن منذ عهد مؤسس دولتهم يغمراسن بن زيان الذي دفن به[88]، وبعده يحي بن يغمراسن بن زيان (660هـ /1261م)[89] ثم أبو بكر بن مرزوق بن الحاج (681ه /1282م) جوار يغمراسن[90].ودفن أبو العباس أحمد بن أبي حمو (879هـ /1475م) بالعباد خارج المدينة وهو المدفن المشهور ببركته واستقرار المتصوفة به حول محورهم أبي مدين شعيب.لم يبتعد بنو عبد الواد عن عادات الملوك في المغرب والأندلس وخاصة المغرب إذ دفنوا ملوكهم في قصورهم وكذلك في أماكن مقدسة ومباركة (المسجد الجامع- العباد) بحثاً عن بركتها، كما استقطبوا بعض الزهاد ليدفنوا بجوارهم [91] ومن مقابرهم نذكر:

أ- مقبرة سيدي إبراهيم المصمودي أو روضة آل زيان

وتدعى بروضة آل زيان ثم تحولت إلى اسم سيدي إبراهيم نسبة إلى الشيخ العالم الولي الزاهد أبو إسحاق أحد شيوخ الإمام بن مرزوق الحفيد الصالح المصمودي[92]،وتوفي عام (805هـ/ 1402م) وحضر جنازته السلطان الواثق ماشيا على قدميه ودفن بروضة آل زيان من ملوك تلمسان، ويقع ضريحه على تلة أو ربوة على بعد أمتار غرب المسجد في الناحية الشمالية، يرجع تشييد هذه المقبرة على إثر وفاة السلطان أبي يعقوب والد السلطان أبو حمو موسى الثاني في مدينة الجزائر سنة (763هـ/1362م) حيث قرّر السلطان أبو حمو موسى الثاني نقل جثمان أبيه من مدينة الجزائر إلى مدينة تلمسان ودفن في المقبرة الموجودة بالقرب من باب إيلان، وبعدها نقل رفات كل من عمه وأبو سعيد وأبو ثابت الذين كانوا مدفونين بالعباد وبنى على رفاتهم مدرسة وزاوية[93]، وتم هذا البناء سنة (765هـ/1363م) تقع هذه المقبرة والمركب ككل في وسط الأحياء والسوق الفوقي ورياض بني فارس وباب الحديد، ثم قرر السلطان أبو حمو موسى الثاني تحويل هذه المقبرة إلى مكان مخصص لدفن أمراء وملوك بني زيان. وقد أمدّتنا المصادر الأثرية على شاهد قبر ست العرب[94] (الصورة: 03)ونص شاهده كالتالي:" الحمد لله تعل[كذا] هذا قبر الحرة الجليل[كذا] ست العرب بنت احمد بن محمد بن علي بن محمد بن يوسف/.

المثلث: بن موسى. اليوسفي توفيت ليلة الجمعة في أربعة عشر من شهر رجب عام واحد وثلاثين وثمان مية رحمها/.

المثلث: الله.

الصورة (03): شاهد قبر زياني موشوري لست العرب(831هـ/ 1428م)



المصدر: من تصوير الباحث

ب- مقبرة القصر البالي

تقع مقبرة القصر البالي في الجهة الغربية من الجامع الكبير، تبلغ مساحتها حوالي 6000 م2 حيث تم العثور على عمق ثلاثة أمتار على 21 شوهد قبر لأمراء زيانيين[95](الخريطة: 04).

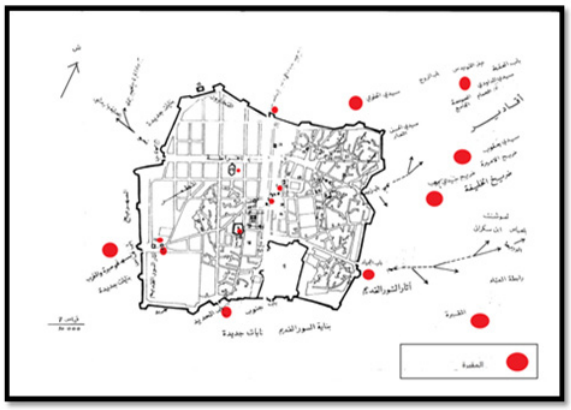
جـ- مقبرة سيدي يعقوب

تسمى مقبرة سيدي يعقوب نسبة إلى الولي الصالح الذي دفن فيها(اللوحة:01/هـ)، وتقع على بعد حوالي 01 كم شمال شرق مدينة تلمسان بالقرب من ضريح السلطانة(اللوحة: 01/أ)، وأمدتنا نتائج الحفريات على ثلاث مقبريات موشورية الشكل ويرجح أن هذه المقبرة هي امتداد للمقبرة القديمة لأغادير(اللوحة: 01/ب).

تعتبر مدينة تلمسان من المدن التي انتشرت فيها الكثير من المقابر مقارنة بعدد نسمتها فهي محاطة بحزام من المقابر والأضرحة (المخطط: 01) نذكر على سبيل المثال ضريح إبراهيم الطيار، ضريح سيدي الداودي، ضريح علي بنابي عمر، ضريح محمد سنوسي، ضريح لالة ستي(اللوحة: 01)، حيث يرجح في اعتقادنا أن المدينة يوجد بها مدافن كثيرة مازالت مطمورة تحتاج منا الكثير من البحث والدراسات والحفريات

للكشف عنها(الخريطة: 04)(اللوحة: 01) .

الخريطة (04): مدينة تلمسان تموقع مقابرها



المصدر: (عن الطمار بتصرف)

خاتمة

بما أن حياة الحي مقرونة بالموت وهو مصير كل حي على الأرض، فمن المتوقع أن يجد تخطيط المقابر من ناحية الموقع والموضع والتنظيم والإدارة الوظيفية قدرا كبيرا من الاهتمام والتفاعل من قبل الأحياء، بصفة إجمالية يمكن القول بأن مقابر والروضات تفاخر الناس في بنائها واستعمل في ذلك مواد فاخرة بداية من القرن)5هـ/11م(وأعطت جمالية أكبر، حيث صار الناس منذ ذلك التاريخ يحددون قبورهم ويبحثون عن الدفن بجوار الأولياء أو في الأماكن المقدسة وإحداث تمايز داخل المقابر بين الأموات في إنشاء الروضات والقباب الخاصة بالأغنياء والأمراء ورجال الدين والعلماء، كما ظهرت أيضا ظاهرة الدفن في الدوري والمساجد وهذا مع بداية القرن السادس هجري اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، حيث اتخذ الحكام مقابر خاصة بهم بعيدة عن قصورهم كما تفننوا في تجميلها وزخرفتها، كما تقع المقابر الخاصة داخل أسوار المدينة على عكس المقابر العامة التي تكون خارج الأسوار موزعة على الشوارع والدروب وفي الساحات وبجانب المساجد العامة، وغالبا ما تسمى بأسماء العائلات أو اسم العالم تخليدا لاسمه.

إن تعدد القباب والأضرحة من أهم مميزات القبور الإسلامية التي أضفيت إليها بعد القرن الخامس الهجري وتعرف القبة بأنها البناء المحدب الذي يتخذ شكل نصف كرة، كما يمكن أن تأخذ الشكل البيضاوي، مخروطي والبصلي حتى أصبحت القبة هي المبنى على الضريح بصفة علمية، وبناء المقبرة عند المسلمين يعتبر عملا دينيا لوجه الله، له ثوابه في الآخرة مثله مثل بناء مسجد أو حفر بئر أو إصلاح جسر، وكانت ملكية المقابر تعود في معظم الأحيان إلى " إدارة الأوقاف ".وكان القاضي و "المحتسب" هما المكلّفان بالإشراف على تحديد مكان إنشاء المقابر في كل مدينة، كما أنهما كانا يقومان بإنشاء مقابر جديدة نتيجة إزدياد السكان أو عند وقوع وباء، كما يقومان بهدم المباني القريبة من المقبرة دون إذن، وأن يمنعا أية أعمال غير أخلاقية لا تليق بقدسية المكان، ويذكر إبن عبدون أنه في عام(1100م) كان يطلب من المحتسب ومن مساعديه بمدينة " إشبيلية " أن يقوموا مرتين يوميا على الأقل بتفتيش مقابر المدينة كي لا يساء إستعمالها[96]. وأمدتنا المصادر التاريخية بأسماء كثيرة للمقابر التي استعملها المغاربة وهي تعرف باسم: مقبرة أو القبور، المدفن، القبة، الجبانة أو الجبان، الروضة أو الرياض، المقام، تربة، الحوطة.

إن دراسة المقابر والمدافن بصفة عامة سواء كانت عامة أو خاصة من المواضيع الهامة في الدراسات الأثرية والتاريخية والأنثروبولوجية والأثنولوجية حيث تزيد الباحث معرفة بالمجتمع والقرب من الحياة في تلك الفترة من أجل استجلاء الخفايا واستحضار الماضي بصفة أدق في جميع الجوانب الحياتية المعاشة وذلك لإعطاء صورة كاملة بكافة أبعادها، والبعد عن الأهواء والميول والتفكير التقليدي.

في هذا المنبر نتوجه إلى طلبة الدراسات العليا والباحثين التوجه إلى دراسة مثل هذا النوع من البحوث الذي يعتبر ميدان خصب للكشف عن الخبايا والقضايا التاريخية التي مازلت غامضة، لأن لها تأثير على تحديد جغرافية وتحديد الهوية وانتمائهم القبلي الديني والعقائدي والإيدلوجي والسياسي، كما تكشف لنا عن الخصائص الإجتماعية والثقافية للأفراد والجماعات، وفرضت علينا طبيعة الموضوع أن نطرح التساؤلات التالية: ماهي العلاقة بين عدد المقابر ومعدل الوفيات؟ وما هي العوامل المؤثرة في وظيفة المقابر وطرق الدفن وأشكالها؟

المخطط (01): نماذج من مخططات لأضرحة تلمسان



أ- مخطط ضريح سيدي بومدين

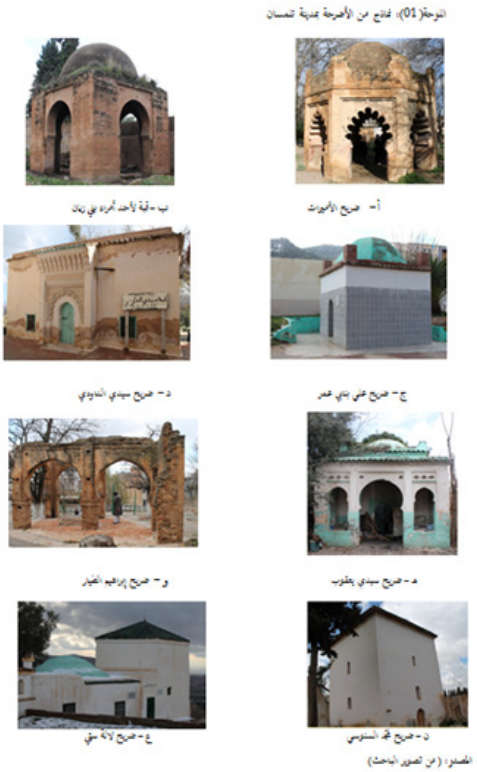
ب- مخطط ضريح سيدي إبراهيم المصمودي

ج- مخطط ضريح سيدي الحلوي

د- مخطط ضريح الحفيد ابن مرزوق

هـ- مخطط ضريح محمد السنوسي

المصدر: (عن: مبارك فكرة)



تضارب المصالح

❖ يعلن المؤلف أنه ليس لديه تضارب في المصالح.

الهوامش

1- جياكوبني جياكومو، ثراء وتنوع طقوس الدفن في العصر الحجري، مجلة ديوجين، ع 214، المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية ، 2008، ص 03.

2- ضريح مدغاسن النوميدي بالقرب من مدينة باتنة بالشرق الجزائري ويذكر الباحث الفرنسي (كامبس) بأن هذا المعلم الجنائزي هو بازينا بربرية ويرجع للملك (بوخوس الأول) أو على الأكثر لابنه(بوخوس الثاني) للمزيد من الاطلاع أنظر:

Filippo Coareli yvon Thébert, architecture Funéaire et pouvoir, Réflexionx sur l'hellénisme numide mélanges de l'école française de Rome antiquités, (M.E.F.R), 1988, volume 100, n° 100, p 766.

3- الضريح الملكي الموريطاني ويدعى أيضا بقبر الرومية، يقع بين مدينة الجزائر وشرشال و15 كلم عن مدينة تيبازة، يمتاز بنفس الخصائص الهندسية لضريح المدغاسن، ويختلف الباحثين حول صاحب هذا الضريح، ومن بين الاطروحات المتداولة أنه خاص بالملك يوبا الثاني وزوجته (كليوباترا سيليني، كما تضاربت الآراء حول تاريخ إنجازه، وللمزيد من الاطلاع أنظر:

Dodin- Payre, Monique, les fouilles du tombeau de la chrétienne au XIXE siécle, C.R.A.I, 2003, volume 147, n° 03, pp 1141- 1154.

4- الأضرحة البرجية أو ضريح دقة هو ضريح ملكي بلغ ارتفاعه 21 مترا، لقد ضم إلى جانب هندسته الليبية- البونية تأثيرات هندسية وزخرفية إغريقية ومصرية يتشكل من ثلاثة طوابق للمزيد من الاطلاع أنظر:- رابح لحسن، مدافن حكام المور والنوميد، دراسة أثرية وتاريخية لأهم الأضرحة المغربية المشيدة في الفترة الممتدة ما بين القرن الرابع قبل الميلاد والقرن السابع، رسالة ماجستير في التاريخ والآثار القديمة، 1998 -1999م.

5- ضريح بني رنان (أو ضريح الملك سيفاكس) يقع ضريح بني زيان على قمة جبل سخونة على ارتفاع 221م، فهو يشرف على سهل وادي التافنة، وخليج رشقون، وموقع مدينة سيغا بالغرب الجزائري وهو يبعد عن مدينة بني صاف الساحلية المتوسطية بنحو 12كلم، فهو ينتمي إلى نوع الأضرحة البرجية ذات التأثير الهليستيني الفينيقي للمزيد من الاطلاع أنظر:

- Vuillemot G, Fouilles du Mausolée de Beni rhénane en Oranie, pp 71- 90.

6- ضريح الخروب(ضريح الملك ماسينسيا) يرتفع فوق هضبة غير مرتفعة تشرف على مدينة الخروب الذي يبعد عنها بنحو 3كلم غربا، وعن عاصمة ملكه (سيرتا) اليوم قسنطينة بالشرق الجزائري مسافة 14كلم غربا، ويذكر أن الطابق الأول للضريح ظل قائما حتى بداية القرن العشرين، الذي انهار نتيجة زلزال ضرب المنطقة مع مطلع العشرين، يرى البعض من الباحثين أنه بني مع منتصف القرن الثاني قبل الميلاد المزامن لفترة حكم الملك النوميدي ماسيسنيسا 148 -203 قبل الميلاد للمزيد من الاطلاع أنظر: - رابح لحسن، مدافن حكام المور والنوميد...، ص 221.

7- الحميري محمد بن عبد المنعم، روض المعطار في أخبار الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة بيروت، 1975، ص 113.

8- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله، معجم البلدان، دار الصادر، بيروت، 1977، ج1، ص 473.

9- السمهودي، وفاء الوفاء، ج3، ص 872-888-941.

10- الطبري محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ج2، ص532.

11- دهمان محمد أحمد، الترب والمدافن الخاصة في الإسلام، مجلة المجمع العلمي العربي، مج 16، ج 4-3، 1941م، ص 111.

12- جمال باني، دراسة حالة المقابر المسلمين بمغرب، مقترحات عملية من أجل إصلاحها، منشورات ملتقى الطرق، المجلس الوطني لحقوق الإنسان، دار البيضاء،المغرب،2012م، ص 16.

13- ليوبولدو تورس بالباس، المدن الإسبانية الإسلامية، ترجمة أليو دورو دي لابنيا، مركز ملك الفيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،2003،ط1، ص351.

14- Le Tourneau (R), Les villes musulmanes de l'Afrique du nord éd. La maison des livres, Alger, 1957, p.22.

15- محمد حقي، الموقف من الموت في المغرب والأندلس في العصر الوسيط، مطبعة مانبال، 2007، ص126.

16- ابن عذارى المراكشي، بيان المغرب، ، تح: محمد بن تاويت وآخرون، دار الثقافة دار البيضاء، 1983، ج4، ص44.

17- ابن الفرضي، تاريخ العلماء، مطبعة المدني، القاهرة، ج1، ص400. المؤسسة الوطنية للفنون والطباعة، الجزائر2002، ج1، ص152. كذلك: رابط ليلى، الكتابات الشاهدية الزيانية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، قسم الآثار جامعة الجزائر2002، ص 44-45.

18- هو أبو الحسن علي بن زياد العبسي، سمع عن مالك بن أنس، وكان أول من أدخل موطأ مالك، وأخذ عنه البهلول بن راشد وسحنون وأسد بن الفرات وغيرهم، توفي سنة (183هـ/799م). راجع: "تراجع أغلبية"، مستخرج من المدارك للقاضي عياض، تحقيق: محمد الطانبي، ص21-26. وانظر كذلك: "طبقات أبا العرب"، ص223-220، ترجمة رقم 110.

19- ابن حيان، المقتبس، دار الأفاق الجديدة، البيضاء، 1990، ج3، ص69.

20- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج3، ص153.

21-نشأ محرز بن خلف سنة (343هـ/954م) وتوفى سنة (413هـ/1022م) وعرف بتعصبه للمذهب المالكي وعدائه للمذاهب الأخرى، خاصة منها الشيعة، وهذه الأوضاع المذهبية كانت من بين الأسباب التي تفسر النجاح الباهر الذي لقيه محرز بن خلف عند عامة الناس وخاصتهم حتى أنه رفع إلى مستوى الأولياء والصالحين، وبقي محافظا على هذه السمعة العالية على مر الأيام والقرون إلى يومنا هذا، وأهمية هذه الشخصية كادت تطغي على كل الشخصيات الدينية والتاريخية التي عرفتها المدينة منذ نشأتها. راجع: ابن مامي والدولاتلي:" أضواء على مسجد محرز بن خلف ومقامه"، نشر وزارة الثقافة، تونس، 1981.

22- من بينهم الشيخ عبد الحليم المحرزي، المتوفى سنة (1284هـ/1868م).

23- نفسه، ج6، ص19.

- وفي اشبيلية دفن علي بن محمد اللخمي الباجي(ت.462هـ/1070م) مع أبيه في داره، وكذلك الشاعر أبو الطيب سعيد بن حنين (ت.473هـ/1280م) بفاس، ويوسف بن وأنودين (ت.ما بين 544-541هـ/1149-1164م) بفاس وعبد الله بن محمد المخزومي (ت.564هـ/1168م) بإشبيلية ومحمد بن خير بن عمر (ت.575هـ/1179م) بقرطبة وأبو القاسم ابن الجد (ت.586هـ/1190م) باشبيلية وأبو بكر بن خلف الأنصاري (ت.590هـ/1194م) بفاس ومحمد بن عبد الرحمن، ابن الكاتب (ت.607هـ/1210م)بغرناطة وأبو محمد سعيد عم الرشيد الموحدي (ت.630هـ/1233م) بمراكش ومحمد بن أحمد بن عيسى اللخمي (ت.654هـ/1256م) بمراكش وعلي بن أبي غالب (ق.8هـ/14م) بفاس. للمزيد : أنظر محمد حقي، المرجع السابق، ص146-145.

24- ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص148.

25- ابن عسكر، أعلام مالقة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص150.

26- المقري، نفح الطيب، دار الكتاب العربي، بيروت، ج7، ص202.

27- دهمان محمد أحمد، الترب والمدافن الخاصة في الإسلام...، ص 113.

28- فإدريس الثاني (ت.213هـ/828-2م) دفن بمسجد الشرفاء إزاء الحائط الشرقي منه ودفن بجواره ابنه محمد (ت.221هـ/836م)، ثم ابنه عمر (ت.220هـ/835م): أنظر أبي زرع، أنيس المطرب، دار المنصور الرباط 1973، ص52-53.وأيضا الجزنائي، جن زهرة الأس، مطبعة الملكية، الرباط 1971، ص28.

29- ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، نش: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1955م، ج1، ص95 و ج2، ص 509. ابن خلكان، وفيات الأعيان، دار الثقافة، بيروت، ج1، ص51.

30- التادلي، التشوف، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 1984، ص126.

31- ابن عبد الملك، ابن عبد الملك أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس، ج8، دار الثقافة، بيروت، تح: محمد بن شريفة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1984، ص545.

32- البادسي، المقصد الشريف، المطبعة الملكية، الرباط، 1982، ص62.

33- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص199. ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج8، قسم2، ص545.

34- هو شعيب بن حسين الأنصاري الأندلسي الملقب بسيدي بومدين ولد في اشبيلية بالأندلس في حوالي سنة(520هـ/ 1126م) خلال حكم السلطان المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين، ودرس بإشبيلية الفقه الذي تلقاه كوكبة من علماء أجلاء، فتعلم على يدي الشيخ الحافظ حرزهم وعلى الفقيه الحافظ أبي الحسن بن غالب واستقر بالشرق وأخذ العلم عن أعلام العلماء واستفاد من الزهاد والأولياء وكان منهم الشيخ عبد القادر الجيلالي الذي ألبسه خرقة الصوفية وأعطاه كثيرا من أسراره ولقد لقب بعدة تسميات: شيخ المشايخ الإسلام، إمام العباد، والزهاد، وكان كثير التجوال في كل من بغداد وإشبيلية وقرطبة وبجاية، وتوفي رحمه الله في سنة(594هـ/ 1198م) وحمل إلى العباد مدفن الأولياء الصالحين فخرج لجنازته أهل تلمسان في حشد غفير للمزيد من الاطلاع حول حياته أنظر: - ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، تص: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط، 1965م، ص 11 وكذلك:- ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر أولياء والعلماء مدينة تلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 108-109.

35- البادسي، المرجع السابق، ص62.

36- توفي الشيخ بن مرزوق الحفيد يوم الخميس رابع عشر شعبان عام 842، ودفن يوم الجمعة بالجامع الأعظم من تلمسان رحمه الله وقد أنشأ يغمراسن الضريح الذي دفن فيه بوقت قصير بعد وفاة محمد ابن مرزوق.

37- ابن القاسم الأنصاري، اختصار الأخبار، الرباط، 1983، ص31.

38- التادلي، المصدر السابق، ص126.

39- ZBISS (S. M.). Corpus Des Inscriptions Arabes De Tunis. Inscriptions De Tunis Et Sa Banlieue. 1e Partie. Préface De MARCAIS(G.). Tunis. Direction Des AntiquitésDt Des Arts. Notes Et Documents. Vol. 13. T. 1. 1955

-Notre sur les Cimetiéres Musumman de Tunis. essai de toponomastique.

in actes du 70 é congrés de l'Afas. fasc. III. Tunis mai. 1951.

40- بن مامي الباجي، نظرة حول تربة وأماكن الدفن الأخرى بمدينة تونس، المجلة التاريخية المغربية، ع 33-34، 1984م، ص 9-38.

41- لا يمكن ربط الصلة بين المقابر التي أسّست في العهود الإسلامية بتلك التي كانت موجدة من قبلها خلال الفترات البونيقية أو الرومانية نظرا إلى انقطاع ذكر هذا النوع من المنشآت خلال العهد الإسلامي المبكر، وعدم توفر أدلة ثابتة عنها.

42- حرّف اسمها، وذلك نظرا لاحتوائها على قبة، فبالنسبة للعامة وجود القبة يعني دائما وجود تسريح ولي صالح، لذلك أصبح الجميع يطلقون عليها اسم: "سيدي بوخريصان".

43- لما توفى الحكم أحمد بن عبد العزيز – صاحب جمع القصر، ومشيد قصور العائلة بنفس المكان- قتل عمه إسماعيل وذلك تفاديا لثورته وهكذا تمت وفاة عبد العزيز وأخوه اسماعيل على رأس المائة الخامسة. انظر: ابن خلدون، العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ البربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأعظم، ج6، دار الفكر، بيروت، 1988، ص335».

44- ربما بدأت تتجسم ظاهرة انتشار القباب كمدافن انطلاقا من أواخر القرن (5هـ/11م) فنجد مثلا بسوسة قبة ما بين القهاوي التي تعود هي الأخرى إلى القرن (5هـ/11م) ويبدو أنها كانت مدفنا ولقبة بني خراسان تشابه مع بعض المعالم الأخرى خاصة منها القبة الموجودة، لكن من الواضح أن قبة قلعة بني حماد هي المؤثرة على نمط هذه المعالم، وبالطبع فإن آل خرسان قدموا من هذه الربوع، وتأثروا مباشرة بها، على كل، رغم كل هذه التأثيرات فإن نمط قبة بني خرسان لا يختلف كثيرا عن القبة التقليدية التي نجدها بجوامع القيروان وسوسة، والزيتونة، المشيدة خلال النصف الأول للقرن (3هـ/9م).

45- بقبة بني خراسان تسعة قبور كما احتوت على بعض قبور أفراد العائلة المدفونين حول القبة، وقد عرضت بعض شواهد قبور أفراد هذه العائلة، بمتحف سيدي قاسم الزليجي من مدينة تونس.

46- كما نعلم كان عنصر التربة منتشرا ببلدان المشرق، وخاصة منهم إيران والعراق وسوريا، وهو يعكس ما حصل في بلدان المغرب العربي والأندلس، لذلك لا يمكن أن يكون هذا التأثير إلا مشرقيا بحتا.

47- أسست تربة بني خرسان في نفس الفترة التي أنشئت فيها بعض ترب الفاطميين بأسوان ولها شيء من التشابه مع نمط البعض منها، إلا أن مواد البناء لم تكن نفسها، فإذا كان قد استعمل في أسوان، الآخر فإنه قد استعمل بتربة بني خراسان الحجر الهش المصقول.

48- فرغم أن المصادر صمتت ولم تمدنا بأي معلومات حول هذا الموضوع ورغم أن الأدلة المادية غير متواجدة لدينا، فإنه لا يمكننا التأكيد على انقطاعها أو مواصلة إنشائها حتى يأتي ما يخالف ذلك.

49- مجهول، الحلل الموشية، دار الرشاد الحديثة، البيضاء، 1979، ص120.

50- المراكشي، المعجب، دار الكتاب، البيضاء، 1978، ص297. ابن عذاري، المرجع السابق، ج4، ص101.

51- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، ج1، ص230.

52- الزركشي، تاريخ الدولتين، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1870، ص05. وللمزيد من الاطلاع أنظر: - مجهول، الاستبصار، دار النشر المغربية، البيضاء، 1985، ص208.

53- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص155.

54- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص215.

55- ابن عذاري، البيان (قسم الموحدين)، ج3، ص234.

56- العمري، وصف المغرب، مجلة البحث العلمي، عدد1، 1964، ص147.

57- لم تمدنا المصادر بمعلومات حول نوعية هذه الروضة ونحن لا نعلم إن كانت مكشوفة أو مسقوفة، لكن يبدو أن مكانها كان قرب قصر السلاطين نفسه.

58- الزركشي، المصدر السابق، ص79.

59- نفسه، ص114.

60- انظر: حول هذا المعلم :" أضواء على مسجد محرز بن خلف ومقامه".

61- كما أنه من الممكن أن اختيار السلاطين الحفصيين لإنشاء مقبرة بهذا المكان كان ناجما عن قراراهم بأن لا تكون المقبرة منطوية على نفسها، فخيروا أن يكونوا قريبين من عامة السكان.

62- أول من دفن بهذه المقبرة: ولي العهد أبو عبد الله محمد المنصور بن أبي فارس عبد العزيز (833هـ/1429م): ثم تلاه والده السلطان أبو فارس (837هـ/1433م) ودفن بها أيضا السلطان المنتصر (839هـ/1435م) والسلطان أبو عمر عثمان (893هـ/1487م)، كما احتوت هذه التربة على رفاة العديد من الأمراء من بينهم: أبو الهادي عم السلطان أبي عمرو عثمان (960هـ/1455م) وبعض الأميرات كوالدة السلطان المنتصر (839هـ/1435م)، وقد سمح أعضاء العائلة بدفن البعض ممن كانوا مقربين منهم، في تربتهم كالمزوار سعيد الزرزير (858هـ/1454م) والحاجب ابن أبي هلال (864هـ/1459م) ثم أخوه شيخ الموحدين: أبو عبد الله محمد بن أبي هلال (866هـ/1461م).

63- يفيدنا نفس المؤلف أن المقبرة كانت معروفة :"بتربة الملوك"، وترابها أوتي به في المراكب من المدينة المنورة، ووضع التراب فيها كلها، بقدر ما يمكن حفر القبر منه، من غير مس التراب الأصلي، يبدو أن هذا الولي عرف بالزليجي، لتخصصه في صنع الزليج (القاشاني) وهو أصيل مدينة فاس، وقد دفن بزاويته وذلك سنة (902هـ/1496م)، وكان لعامة الناس وخاصتهم فيه اعتقاد كبير، لهذا فضل بعض سلاطين بني حفص أن يدفنوا بجانب قبره. وللمزيد من الاطلاع أنظر: - ابن أبي الدينار أبو عبد الله محمد بن القاسم القيرواني (حي 1092هـ/1681م). وكذلك: - المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، تح: محمد شمام، ط3، المكتبة العتيقة، تونس ، 1387هـ، ص160.

64-دفن بزاوية سيدي قاسم الزليجي: السلطان محمد الحسن (أبن أبي دينار، المصدر السابق، ص161)، ثم السلطان أبو العباس أحمد بن محمد الحسن الذي هرب من تونس بعد دخول الأسبان، وتوفي بمدينة بالرمو من صقلية فجئ به إلى تونس، ودفن بالزاوية. المؤنس، نفسه، ص175.

65- Lévi-provencal (Evariste), Inscriptions Arabesd' Espagne, librairie et imprimerie a devant, E-J Brill leyde, librairie Colncal et orientaliste E. larose, paris , 1931., P16.

66- عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ شالة الإسلامية، بيروت، 1975، ص315.

67- ابن الخطيب، معيار الاختيار، مطبعة أكدال، الرباط، 1977، ص74.

68- ابن علي الدكالي، المرجع السابق، ص69.

69- عثمان عثمان اسماعيل، المرجع السابق، ص 460.

70- نفسه، ص70.

71- ابن الحاج النميري، فيض العباب، الرباط، 1994، ص18 و40.

72-عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ شالة الإسلامية...، ص311.

Lévi-Provençal.Op-Cit.P16.

ذكر الوزان أن أول من دفن بها هو يعقوب المنصور الموحدي، لكن يبدو أنه وقع في خلط لأن يعقوب كما رأينا دفن بتنمل. الوزان، وصف إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ج1، ص203.

73- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص373. ابن الأحمر، روضة النسرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1962،ص18

74- نفسه، ص288. نفسه، ص21.

75- نفسه، ص392. نفسه، ص22.

76- ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبو الحسن، تح ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص124.

77- ابن القاضي، جذوة في ذكر من حل على مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1973، ج2، ص462.

78- عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص314.

79- النميري، المرجع السابق، ص38

80- ابن الخطيب، اللمحة البدرية، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1978، ص95

81- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص280.

82- المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج1، مطبعة فضالة، المحمدية، 1978، ص271. نفسه، ص49. عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص329

83- ابن الأحمر ، روضة النسرين ، ص329.

84- المنوني، المرجع السابق، ص49.

85- عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص330.

86- المنوني، المرجع السابق، ص49.

87- أبو يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج1، مطبعة فونطانة، الجزائر، 1911، ص49.

Brosselard (M-C), Mémoire épigraphique et Historique sur Les Tombeaux Des emirs Beni zeyan, Journal Asiatique, Janvier- Février 1876 .pp151-152.

88- أبو يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص14.

89- نفسه، ح1، ص49.

90- Brosselard, op-cit, pp 151-153.

91- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص 126-127

92- Brosslard (M.), Op, Cit ,pp.14-16.

93- Brosselard(CH), Ibid, pp.52-55.

94- Marçais, (G) et (W), les monuments arabes de Tlemcen, ancienne librairie Therienet fils, Albert Fontemoing, éditeur, Paris, 1903,p.336-339.

وكذلك: عبد الحق معزوز ولخضر درياس، جامع الكتابات الأثرية بالجزائر، ط1، مطبعة سومر، الجزائر، 2001م، ج2، ص 46-47.

95- ليلى مرابط، الكتابات الشاهدية الزيانية، مجموعة متحف تلمسان، رسالة ماجستير، معهد الآثار، 2001-2002، ص40.

96- الونشريسي أبو عباس أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تح: محمد حجي، ج 7، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص235.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA:

عياش محمد،(2020)، المقابر والروضات الملكيةفي حواضر بلاد المغرب الإسلامي من القرن الأول إلى نهاية القرن العاشر هجريين/ السابع السادس عشر ميلاديين، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 12، العدد 01، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، الصفحات : 92-101